نحو وحدة العمل الإسلامي

تحت راية أهل السنة والجماعة

إعداد : محمد محمد بدري

منبر التوحيد والجهاد

إهداء

إلى جميع الدعاة المخلصين وإلى كل المسلمين:
أُهدي هذه الكلمات ليعلموا أن قضية الفرقة والاختلاف هي القضية الأخطر التي نواجهها، وأن على كل منا أن يضع على كاهله مسؤولية منع الفرقة بين المسلمين، بحيث يستوي في نفسه وفي عقله " وحدة الصف الإسلامي " مع إنقاذ ذاته من الهلاك.. بكل ما في هذه الكلمة من معنى!

تحت راية أهل السنة والجماعة

تواجه الحركة الإسلامية المعاصرة تحديات كثيرة، من خارجها ومن داخلها:

تواجه من خارجها مكر أعدائها وكيدهم وضرباتهم المتلاحقة لها.

وتواجه من داخلها امراض التعصب والهوى والجهل واتباع الرؤوس الجهال، وما ينتج عنها من فرقة واختلاف!

فأما التحديات الخارجية فنستطيع أن نقول إنها فشلت سياسياً وأمنيا في إحراز اي مكسب على حساب الحركة الإسلامية المعاصرة!

وأما التحديات الداخلية فهي – فيما نحسب – الخطر الحقيقي الذي يعوق مسيرة الحركة ويباعد بينها وبين أهدافها.

وبينما يختلف الغسلاميون في كثير من الأمور، إلا أنهم جميعا متفقون أن الفرقة والاختلاف هي آفة الحركة الإسلامية المعاصرة، وهي الداء الذي يشل اية فاعلية ممكنة للحركة.

ولا شك أن الوحدة والئتلاف بين العاملين للإسلام هي أمنية كل مسلم غيور.. والذي يجعل تحقيق هذه الأمنية الغالية ممكنا هو أن ندرك متطلباتها ونعرف الأسس الصحيحة التي تكفلها.

ومساهمة في بيان هذه الاسس وتلك المتطلبات نضع بين ايدي إخواننا العاملين للإسلام هذا المنهج للائتلاف والوحدة كخطوة على طريق الوحدة الشاملة، ونأمل منهم تفهمه، ونقده، وترشيده، بل ونطالبهم بتهذيبه والإضافة إليه مما يثري إيجابياته، ويلفظ سلبياته، ويقرب من جدوى ثماره.

أهل السنة وطريق الوحدة:

يدعو البعض إلى الوحدة والئتلاف بين الجماعات الإسلامية، فإذا سالته ؛ كيف؟ قال لك: إن هذه الجماعات أمة واحدة، والوحدة والائتلاف بينها تكونبانضمام هذه الجماعات إلى جماعتنا لأننا أصحاب الفهم الصحيح! أو لأننا أكثر عددا، أو غير ذلك من الاسباب.

ولا شك أن التفكير في الوحدة بهذه الطريقة هو لون جديد من التعصب في ثوب الدعوة إلى الوحدة، ولا شك اننا لا يمكن أن نخطو خطوة واحدة في طريق الوحدة المنشودة بهذه الطريقة، لأن كل جماعة ستدعي أنها صاحبة الفهم الصحيح!

فما هي الجماعة التي يجب أن يلتزمها الجميع؟

إنها الجماعة التي ألزمهم بها رسول الله > حيث قال: (افترقت اليهود على أحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة)، فقال الصحابة: من هي يا رسول الله؟، قال: (من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي)، وفي رواية (الجماعة، يد الله مع الجماعة).

فالفرقة الناجية هي؛ الجماعة، وصفتها ؛ من كان على مثل ما كان عليه النبي > وأصحابه، فالرسول > حين سئل عن الفرقة الناجية بيَّن الوصف الذي صارت به ناجية، بمعنى أنه > بيَّن الوصف الضابط للنجاة لأي جماعة بدون تخصيص لمن تقدم ومن تأخر في اي زمان، كما قال > : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم إلى قيام الساعة).

وهو وصف إذا تحقق في فرد أو جماعة، كان ذلك الفرد أو تلك الجماعة من الفرقة الناجية " أهل السنة ".. فالسمة.. راية مكتوب عليها " ما كان عليه النبي > وأصحابه "، وأهل السنة.. أهل الراية.. وهم الطائفة المنصورة، وهم الجماعة التي أمر النبي > بالتزامها.

وهي هي الجماعة التي ندعو فصائل الحركة الإسلامية إلى الالتزام بها ؛ " جماعة أهل السنة ".. الجماعة العامة الواسعة، وهي تضم الذين كل من لم ينحرفوا عن طريق " أهل السنة والجماعة " إلى مناهج أهل البدع الضالين، تضم كل هؤلاء دونما شرط أن يجمعهم اسم واحد أو حزب واحد!

فنحن لا ندعو إلى جماعة جديدة أو اسم من الاسماء التي يتصارع عليها العاملون للإسلام، وإنما هي دعوة إلى الانتماء لسلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين الذين اجتمعوا على الحق الصريح من كتاب الله وسنة رسوله > .

دعوة إلى الانتماء لجماعة " أهل السنة " الذين ميّزهم ذائماً اجتماعهم على الاتباع دون الابتداع، فهم يمثلون الامتداد الطبيعي لما كان عليه النبي > .

دعوة نجعل فيها راية " لاإله إلا الله " راية اهل السنة والجماعة.. هي الراية التي ينضوي تحتها كل المخلصين – اقراداً وجماعات – الراغبين في العمل من أجل الإسلام مهما كانت انتماءاتهم.. ثم نوزع فيما بيننا الأدوار، ادوار الأفراد وأدوار الجماعات لنقوم بمهمة التغيير المنشود في إطار المفاهيم الحركية لاستراتيجية التحرك الإسلامي.

كلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة:

لا شك أن التوحيد بين الأطراف المتنازعة لا يكون على حساب المنهج السليم، ولا يكون على حساب التفريط في سلامة الأصول، وحرصنا على الائتلاف ووحدة الكلمة لا ينفعنا إن نحن فرطنا في وضوح كلمة التوحيد أو تساهلنا في اهتزاز اصولها.. بل

لو حاولنا ذلك - والعياذ بالله – وقعنا في الشقاق والفرق من حيث اردنا الوحدة والائتلاف.

ولذلك فنحن حين ندعو للائتلاف لا نعني الائتلاف مع أصحاب المذاهب الكافرة من علمانية ووطنية وقومية واشتراكية وراسمالية وغيرها من مذاهب الملاحدة والزنادقة والكفرة.. ونحن حين ندعو للائتلاف لا نعني الائتلاف مع الفرق الضالة من خوارج ورافضة وقدرية وجبرية ومرجئة ومعتزلة وأشاعرة وصوفية وغيرهم من الفرق الضالة عن الصراط المستقيم، بل هؤلاء يجب اجتنابهم وترك مناظرتهم ومجالستهم.. بل يجب إخراجهم من مجالس أهل السنة.

فدعوتنا ليست للائتلاف مع الخوارج الذين اتسم منهجهم بالغلو الشديد في فهم دين الله.. والذين أمر رسول الله > وهو يحدث أصحابه عنهم بقوله: (اقتلوهم فإن في قتلهم أجراً).

ودعوتنا ليست للائتلاف مع الرافضة الذين تستَّروا بستار التشيع لأهل البيت وابتدعوا في دين الله ما لم يترل به سلطاناً.

ودعوتنا ليست للائتلاف مع القدرية الذين ينفون قدر الله عز وجل، او الجبرية الذين يقولون إن الإنسان مجبر على الخير والشر أو كاريشة في مهب الريح!!

ودعوتنا ليست للائتلاف مع المرجئة الذين يشيعون الفساد في المجتمع الإسلامي بادعائهم أن المسلم هو من تلفظ بالشهادتين دون أن يلتزم بأي عمل، وإن خالف أصول الشريعة، وإن ناقض التوحيد بفعله، فلسنا ندعوا للائتلاف مع هؤلاء الذين زعموا أنه لا يضر مع الإيمان معصية، فجرأوا الناس على الاستهزاء بالشرائع والشعائر، وكانوا دعاة فسق وانحلال.

ودعوتنا ليست للائتلاف مع المعتزلة الذين يقدمون العقل على النقل، وينفون صفات الله وقدره، ويقولون بخلق القرآن، ويقولون بخلود مرتكب الكبيرة في النار وأنه في مترلة بين المترلتين!

ودعوتنا ليست للائتلاف مع الصوفية الذين يقولون بالحلول والاتحاد وأن الخالق مندمج في المخلوق، فكلاهما – بزعمهم – شيء واحد! أو أولئك الذين يعبدون اضرحة الموتى، أو يزعمون أن للقرآن ظاهراً وباطناً، ظاهر يعرفه السذج من أهل السنة – بزعمهم – وباطن يعلمه أولياؤهم وأقطابهم بما لديهم من إلهامات – بزعمهم –

فلسنا ندعو للائتلاف مع كل هؤلاء أو مع غيرهم من الفرق الضالة.

ولا بد من التفرقة في دعوتنا للائتلاف بين هؤلاء المبتدعة من الفرق الضالة، وبين المختلفين من أهل السنة الذين نسعى لتأليفهم وجمع صفوفهم.

فالمختلفون من أهل السنة، وإن وقع بعضهم في تأويل فاسد وافق فيه بعض الفرق الضالة دون أن يدعو إلى مذهب تلك الفرقة أو يفاصل أهل السنة والجماعة ويفارقهم

عليه.. فإن هذا لا يخرجه عن مسمى أهل السنة والجماعة، بل إن من علماء أهل السنة والجماعة من وقع في بعض التأويلات وافق فيها بعض الطوائف – كالاشاعرة مثلاً – دون أن يتبنى مذهبهم أو يدعو إليه! ومن هؤلاء العلماء ابن حجر العسقلاني والإمام النووي وابن الجوزي وابن عقيل، فهؤلاء الأعلام استدرك عليهم علماء أهل السنة والجماعة بعض تأويلات وافقوا فيها الاشاعرة، ومع ذلك لم يخرج أحد من هؤلاء الأعلام عن مسمى أهل السنة والجماعة.

فيجب علينا دائماً أن نفرق بين من يتنكبون طريق الإسلام وينحرفون عن منهج أهل السنة والجماعة إلى مناهج أهل البدع والضلالة والفرقة، وبين الذين يخطئون وهم يسيرون على منهاج أهل السنة، فهؤلاء أحوج إلى التصويب والرعاية والحوار منهم إلى المواجهة والتهوين والاحتقار.

ثالثاً: شرعية العمل الجماعي

لا شك أن العمل الجماعي واجب شرعي، ولا شك أن ما هو مطلوب من الجماعة من إنجازات لا يقدر فرد أو أفراد متفرقون أن يقوموا به، ومن هنا فنحن لا ننكر العمل الجماعي من خلال جماعات أهل السنة العاملة في الساحة الإسلامية، ولا نريد أن يتخل الأفراد عن قياداتهم وجماعاتهم التي يتعاونون معها، ولكننا نريد من الجميع أن يدركوا أن ولاءهم لجماعتهم يكون في إطار ولائهم للجماعة الأم، وهي جماعة أهل السنة والجماعة، وأن يقدموا المصلحة الشرعية الحقيقية للجماعة الكبيرة.

فلا ترفع اسماء ورايات يُدعى الناس إليها، وينرك الاصل الذي ينبغي الدعوة إليه، ولا تكون هذه الاسماء داعية للتعصب لشخص دون الرسول > ولا تكون هذه الاسماء هي ما يعقد عليها الولاء والبراء، بل الموالاة والمعاداة تكون على الإسلام، والدعوة تكون إلى جماعة أهل السنة، وليس إلى جماعة فلان أو طريق فلان.

فنحن في أمس الحاجة إلى دعوة مفتوحة عالمية لكل الأمة، والله عز وجل قد أنعم علينا وكفانا باسم الإسلام +هُوَ سَمَّاكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِى هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ_.

نقول لكل فصائل العمل الإسلامي ؛ إن الأعمال الكبيرة لا يقوم بها فرد وإنما تقوم بها مجموعات متعاونة تعمل حسب هطة تكميلية مدروسة، ولن نستطيع الوصول إلى أهدافنا عبر أفراد، بل مجموعات منظمة تضمن استمرار العمل وتعطيه الفاعلية، فتعالوا نجتمع معاً لنكون مجتمعاً من صفوة المجتمعات وصفوة الأفراد.

رابعا: قِلة تُنقذ الموقف:

إن من القواعد العظيمة التي هي جماع الدين ؛ تأليف القلوب واجتماع الكلمة وصلاح ذات البين، فالله تعالى يقول : **+فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ**_، وأمثال ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة والائتلاف وتنهى عن الفرقة والاختلاف، وأهل هذا الاصل – كما يقول ابن تيمية – هم أهل الجماعة.

ولذلك نقول إنه من الأمور الطبيعية ان توجد في الساحة الإسلامية مجموعة واعية تتبنى فكر أهل السنة والجماعة، وتعمل على التقريب بين فصائل الحركة الإسلامية، ومن انتدب نفسه لهذه المهمة فيجب عليه أن يتلطف في إدخال المفيد النافع على من يحدثهم دون جدل، بل بالأدلة الموضوعية.

ولا شك أن وجود هذا الصنف من الدعاة هو المقدمة الصحيحة لتعميم مفاهيم أهل السنة والجماعة في كل الحركة الإسلامية، وغزالة الحواجز بين العاملين للإسلام، بحيث لا يتحرج فرد من الانتساب إلى فصيل من فصائل الحركة الغسلامية، والتعاون مع الآخر في الخير، فيُخرج ذلك جيلاً من الإسلاميين تتطابق أهدافهم في الحياة بدل أن تتنابذ، وتتكامل أفكارهم بدل أن تتصارع وتختلف، وتكون غايتهم خالصة لله عز وجل.

ولن تكون هذه المجموعة التي نتحدث عنها حزباً أو جماعة، وإنما هي بمثابة مدرسة تربوية تركز على تنظيف عقول أفرادها من المقولات الخاطئة المتعصبة، وتطهير قلوبهم ونفوسهم من الأغراض الشخصية، ثم مراجعة الأفكار وأساليب العمل المطروحة على الساحة الإسلامية.

وهكذا يمكن أن تبرز حركة تجديدية إصلاحية، تتضافر فيها الجهود وتهجر فيها الأفراد خصوماتهم.

خامساً: حوارات فعالة:

فلا بد من حوارات مفتوحة مع كل الدعاة الصادقين، ولا بد من تعارف فصائل الحركة الإسلامية بعضها على بعض عن قرب والحذر من الشائعات، وكثيراً ما يحل التقاء قيادات فصائل الحركة الكثير من الاختلافات التي يثيرها نقلة الأخبار ومثيرو الإشاعات.

ولنجعل من هذه الحوارات لوناً من ألوان الشورى حول مجموعة القضايا الأساسية في الدعوة، ولعل الله عز وجل أن يخرجمنها جيلاً طليعياً يهتدي إلى سبيل عودة أمة الإسلام، ويحدد مواطن الخلل ويكشف الطريق الأصوب، ويجمع البصيرة إلى جانب البصر، ويلتزم منهاج الطائفة القائمة على الحق الحاملة للرسالة الخالدة " أهل السنة والجماعة ".

ولا شك أنه لإنجاح هذه الحوارات لا بد لها من قواعد، فقواعد الحوار فضلاً عن أنها آداب واخلاق فهي جزء رئيسي ومؤثر في فعالية أي عمل يُبنى على الحوار، وما أي عمل في بدايته سوى مشروع في محتوى بعض الكلمات والأفكار.

ومن أهم قواعد الحوار ما يلي:

١) عدم تسفيه المخالف في الراي أو تجهيله أو التهكم عليه:

فالحوار يكون بالمعالجة العلمية الموضوعية، وإذا اصاب المتحدث من مخالفه شيء من التسفيه فلا يقابله بالمثل، وإنما يدفع بالتي هي أحسن ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾، ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

٢) ترك المراء:

فحتى مع ملكية الحق، لا بد من ترك المراء، كما يقول > : (أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا)، فترك المراء يمنع التفرق ويضمن الاستفادة من راي الجميع لصالح الحركة الإسلامية، وكلنا يعرف أن المحاجة وإقامة الأدلة لها طرق ومسارات تصل بمتبعها إلى الحق وتكشف وجه المسألة من أقرب طريق، فإذا تجاوز الحوار هذا الحد خرج إلى تفريعات لا تنضبط بقواعد محكمة، ولا تستند إلى أدلة واضحة في الاستدلال، فيدور الحوار في حلقة مفرغة ويتمزق الموضوع.

٣) السماع الكامل:

فلا بد من الإصغاء الكامل لطرف الحوار وإلى كل راي يطرح وعدم مقاطعة صاحبه، وهذا هو الذي يحقق تدبر القول والرأي، لأن " التدبر " من " الدبر " أي الآخر، وهذا يعني ان التدبر لا يتحقق إلا بسماع الكلام إلى آخره.

وهذا رسول الله > يتحدث إليه عقبة بن معيط فلا يقاطعه الرسول > حتى ينتهي من كلامه، ثم يقول له (انتهيت)، قال: نعم، قال > : (فاسمع مني).

ولا شك أن السماع الكامل يعطي محاورك إحساساً أنك تنصت إليه، وتهتم بكل كلمة يقولها، وتحترم حقه في التعبير عن وجهة نظره، وهذا بدوره يشعره بارتياح يخفف توتر الأعصاب الذي يصاحب – عادة – حالة الحوار، كما أن السماع الكامل يعطي المحاور إحساساً بجدية المحاورة، فيحرص على الخروج من الحوار بفائدة علمية تؤثر كثيراً في اي عمل يمكن أن يقوم بين المتحاورين.

٤) رحمانية الحوار:

فلا بد من الحرص على رحمانية الحوار، والبعد عن الانفعالية، وليكن الحوار " جلسة تغافر " وليس " جلسة تعاتب "، وليكن لسان حال المتحاورين قائلا:

من اليوم تعارفنا ونطوي ما جرى منا

فلا كان ولا صار ولا قلتم ولا قلنا

وأخيراً...

ندعو كل إخواننا إلى العمل على تكامل فصائل الحركة الإسلامية وتعاونها في الغطار الذي نحسبه صواباً، ولا ندعي له الكمال، وإنما محاولة وخطوة على طريق يعوزها التواصل المستمر، نقصد منها إلى إزالة السدود النفسية بين الدعاة إلى الله وتحطيم الأسوار الحزبية التي قد تحمي غير الأكفاء وتحرم العمل من إمكانات وطاقات كبيرة، ولتصبح فصائل الحركة الإسلامية حواس متعددة للعقل الإسلامي الواحد، وأجهزة متعددة لوظائف الجسم الإسلامي الذي يشد بعضه بعضاً، ولنسير جميعا إلى أهدافنا مسيرة مؤتلفة متحدة تحت راية أهل السنة والجماعة.

دعوها فإنها منتنة:

تحوي الحركة الإسلامية المعاصرة عناصر طيبة من الدعاة المخلصين المتجردين العاملين من أجل الإسلام، ومع أن عمل هؤلاء الدعاة عمل جاد ومتواصل إلا أن الفرقة والاختلاف بين أفراد الحركة الإسلامية تجعل جهود هؤلاء المخلصين تهدر دون الوصول إلى الأهداف المنشودة [١]، وإلى هؤلاء الدعاة المخلصين، وإلى كل المسلمين أهدي هذه الكلمات ليعلموا أن قضية الفرقة والاختلاف هي القضية الأخطر التي نواجهها، وأن على كل منا أن يضع على كاهله مسئولية منع الفرقة بين المسلمين، بحيث يستوي في نفسه وفي عقله " وحدة الصف الإسلامي " مع إنقاذ ذاته من الهلاك، بكل ما لهذه الكلمة من معنى!

محنة الفرقة:

فقد أمرنا الله تعالى بالوحدة والائتلاف، ونهانا عن الفرقة والاختلاف، فقال عز وجل: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، قال ابن عباس: (تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة)، وقال عز وجل: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.

وغيرها كثير من الأيات التي تأمر بالائتلاف وتحذر من الفرقة [١٠].

بل لقد حذر الله عز وجل هذه الأمة من محنة الفرقة وأنها هي السبب المباشر في هلاكها، فقال عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾.

وروى ابن كثير في تفسيرها بضعة عشر حديثا في الصحاح، منها قول رسول الله > : (سالت ربي ثلاثا؛ سالته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسالته أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها) [١].

وفي حديث ثوبان في صحيح مسلم، قال رسول الله > : (إن ربي قال لي ؛ إني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا اسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها – أو قال من بين اقطارها – حتى يكون بعضهم يُهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا) [٢].

فالحديث يحمل بشرى رسول الله > لأمة الإسلام أن أعداء الله لن يستطيعوا استئصالها ولو اجتمعوا عليها من جميع أقطار الأرض، ولكن الهلاك الحقيقي في أن يتفرقوا فيقضي بعضهم على بعض، ويهلك بعضهم بعضاً.

فالفرقة تجعل هلاك الأمة بيد أبنائها في سلاسل من الحروب في غير معركة، وانتصارات بغير دعو تحتوي الكدر للمخلصين وتهدر جهودهم [٤].

وهذا في الحقيقة يجعل التفرق محنة حقيقية إذا نحن لم نقرر جدياً التخلص منها، بل يجعل التفرق مصيبة نرجو الله عز وجل أن يجعل منها صلاح أمرنا [١٢].

واقع المحنة:

إذا كان ما نواجهه من فرقة محنة حقيقية، وكنا نتطلع إلى الوحدة والائتلاف، فإن هذا يقتضي منا أن نخلع أنفسنا من عصبياتنا وننظر إلى واقعنا نظرة عدل وإنصاف، نظرة مجردة عن الإهواء والأغراض، فلا نضع على أعيننا نظارة المصلحة الحزبية أو نظارة الصراع غلى الزعامة والقيادة، بل نترك واقعنا يحدثنا بما فيه دون رقابة أو تزين، فماذا عساه يقول لنا هذا الزاقع؟ [١٢].

إنه يقول: إن الخلاف بين فصائل العمل الإسلامي قد تجاوز حدوده وآدابه وأحدث آثاراً سلبية تعاني منها المسيرة الإسلامية ويعايشها جميع أفرادها بمرارة، وهي آثار لا تختص بميدان من ميادين العمل الإسلامي دون ميدان، بل هي في كل ميادين العمل.. في الفكر.. وفي التربية.. وفي الحركة، بل وفي أهداف العمل الإسلامي ذاتها!

١) في ميدان الفكر:

انحصر الإنتاج الفكري في كثير من فصائل العمل الإسلامي في فكر المؤسس، فصارت المؤلفات تكراراً لأفكاره أو شرحاً لها أو إشادة بتضحياته وجهاده، وأما مشكلات " الأمة " وحاجاتها القائمة، فلا بحث عنها أو عن حلها، بل أكثر من ذلك إذا قام بعض الأفراد من غير هذا الفصيل بمحاولة للبحث عن حلول لمشكلات " الأمة " أصبحوا هدفاً للاتهام بعدم الالتزام والابتداع في دين الله، مهما كانت منزلتهم العلمية أو تاريخهم الجهادي في الدعوة! وكم من داعية تنحى عن طريق الدعوة بسبب هذا الإرهاب

الفكري، وكم من جهود فكرية طيبة أهملت بسبب التعصب! حتى هبط الفكر إلى الانغلاق والجمود.

٢) في ميدان التربية:

حرص المربون في فصائل العمل الإسلامي – إلا من رحم ربك – على إجتذاب الأفراد حولهم وغرس مفاهيم الفصيل الذي ينتمون إليه في عقول الأفراد، وفرضوا حولهم ستاراً حديدياً يحول بينهم وبين الفصائل الأخرى في الحركة الإسلامية، وقد نتج عن هذه التربية الاحتكارية أن ترسخت في نفوس الأفراد مفاهيم خطيرة، من أبرزها ؛ شعور الأفراد في كل فصيل أن واجبهم الأول هو محاربة الفصائل الأخرى، وتضييق دائرة امتدادها، وتقليل أعداد المتبعين لها! وتطورت الأمور، فتحول القادة والمربون في نفوس الأفراد من كل فصيل إلى مقياس للحق، فتوهموا أن الحق لا ينبع صافياً إلا من الجهة التي ينتمون إليها، وأن من لم يكن منهم فهو عليهم!

وتسبب ذلك في كثرة الفتن والخصوكات، وأثناء الخصومات ربما يوشي أفراد فصيل من فصائل الحركة باسماء " خصومهم " من الفصائل الأخرى لأعدائهم على أنهم " متطرفون " أو " متشددون "!!

ولنا أن نتصور نوعية الأفراد الذين يربون بهذه الطريقة وشكل الجماعة التي تضمهم! [٣].

٣) في ميدان الحركة:

على مذابح التعصب لفصائل العمل الإسلامي المختلفة غاب مفهوم " الأمة الإسلامية " ليحل محله العصبيات للأفراد والفصائل، حتى أصبحت هذه العصبيات تفرق أهل المدينة الواحدة، ويعتلي داعية المنبر الذي كان يقف على مثله رسول الله > فلا يتحدث عن أعداء الإسلام، وإنما يشن حملةى مؤسفة ضد فصيل من فصائل الحركة الإسلامية في المدينة نفسها، فلا يذكر إلا النقائص والعيوب ولا ينسب لها ولا مكرمة واحدة.

وفي الجمعة الثانية يشن خطيب الفصيل الآخر حملة مماثلة ويرد الصاع صاعين!! [٥].. وتصل الفرقة إلى حد المأساة عندما يتحول الخلاف إلى عراك حقيقي بين أفراد الحركة الإسلامية، تسيل فيه دماء مسلمة شاهدة على السفاهة والجهل [٩].

وهكذا أصبحت الفصائل الإسلامية أشبه بالأحزاب المتناحرة، واصبحت الروابط بين الأفراد هشة تقوم على المظاهر والشكل أكثر من المضمون والجوهر، وأصبح يكفي الفرد أن ينتمي إلى فصيل ما دون فهم، وأن يصحب أفراده في غدوهم ورواحهم أو أن يتزيا يزيهم [٣] ويردد بعض الكلمات المناسبة لذلك الفصيل – سواء في التشدد والغلو أو في التسيب والإرجاء – دون تعمق في فهم عقيدة أهل السنة والجماعة أو تخلق بأخلاق

الإسلام [٥]، اصبح يكفيه هذا ليكون " أخا " و " فاهما " و " ملتزما " إلى غير ذاك من الألقاب، ولينال نصرتهم [٤].

وأما الذين يخالفون هذا الفصيل من فصائل الحركة في معاداة بقية الفصائل أو يستعصون على الانتماء، فهؤلاء يصبحون هدفاً للطعن والتشويه في الدين والخلق، مهما كان حظهم من الفهم والإيمان والاستقامة [٣]، فالعالم الذي لا ينتمي للفصيل يلقبه الأفراد بأنه " ليس واعياً " أو " لا يفقه الواقع " إلى غير ذلك من التنابز بالألقاب [٤].

وهكذا استنفذت طاقات الأفراد في الخصومات مع إخوانهم في الصف الإسلامي، وترك الأفراد التحديات التي تواجهها الحركة الإسلامية من داخلها ومن خارجها.

٤) في الأهداف والغايات:

تعلق الكثيرون من العاملين للإسلام برموز فصائلهم الإسلامية حتى نسوا الهدف وأصبحت تلك الرموز هي الهدف في النهاية، فتحولت أهداف العمل الإسلامي من السعي لتحكيم الإسلام وتمكينه وإحياء الأمة وبعثها لتقود البشرية كلها إلى السعي لتحكيم رجال هذا الفصيل من فصائل الحركة وتمكينهم.

وأدى ذلك إلى أن كثير من فصائل الحركة كانت تنهي العمل تقريباً حين يشارك قياداتهم في الوزارات أو المجالس النيابية، وكانت مواقف تلك الفصائل مع الحكومات تتغير حسب مواقف هذه الحكومات من فصائلهم!

وإزاء هذا التنافس على حطام الدنيا استخف أعداء الحركة الإسلامية بكل فصائلها وأنزلوا بها سوء العقاب [٣].

هذه هي حالنا، وهذا هو واقعنا في كلمات، ليست كلمات ناظر بهوى يهوى الحديث عما يراه، أو يحب النظر إلى الحركة الإسلامية من عل ويملي عليها الدروس، ولكنها معاناة فرد من أفراد الحركة الإسلامية، يريد النصح لها، ويحاول مع غيره من المسلمين رتق خرق الفرقة قبل أن يتسع على الراقع، وتنبيه إخوانهم إلى خطر الفرقة الداهم، ليحاولوا تغيير واقعهم – واقع المحنة -.

من يندم يتقدم:

ربما قال بعض إخواننا أن ما ذكرناه في واقع المحنة يعد كشفاً لعورات الحركة الإسلامية يفيد أعداء الإسلام.

وهذا في الحقيقة ليس صحيحاً، وذلك لأن ما عرضناه ليس من الأمور التي تخفى على أعدائنا، بل هي على العكس من ذلك، هم يعلمونها ويستفيدون منها ولهم أدوار خطيرة جدا في تكريس الخلافات بين الدعاة وزرع التناقضات بين فصائل العمل الإسلامي، سواء عن طريق تضخيم الخلافات بتغطية أخبارها صحفياً أو عن طريق إشعال نيران الفرقة بالمقابلات الصحفية لبعض قادة العمل الإسلامي وسؤالهم عن رأيهم

بالآخرين! أو عن طرق أخبث بإقامة السدود أمام كل محاولة نقد أو مراجعة للأخطاء، وبتغييب الجرأة على المصارحة والنقد الذاتي [٥].

ولذلك فإننا لا بد أن نتخلص من عقدة رفض النقد التي طالما سدت علينا الطريق لتطوير حركتنا، فالحقائق مهما كانت ثقيلة ومريرة أجدى نفعاً من التهرب منها، والحركة التي تخشى أخطاءها ليست حركة صحيحة، وإذا اكتشفت خطأ من أخطائها ثم التفتت عنه، فالأمر أدهى وأمر [١٢].

ولا شك أن أطر التعصب الحزبية التي نعمل من خلالها هي خطأ في حركتنا وخطر يهدد بالإجهاض على أيدي خبراء يعرفون كيف تجهظ الحركات[١٢].

فهل نشرح صدورنا للندم على أخطائنا فيكون ذلك الندم حتفزاً على مواصلة كفاحنا بشعور اشد رهافة بمسئوليتنا، وتصور أكثر وضوحاً لجوانب الضعف فينا ولأاخطائنا التي كانت سبباً في تخلفنا؟! وهل ندرك جميعا أن " من يندم يتقدم " [١٢]؟!

الراجون رحمة الله:

ولا شك " أن سبب الاجتماع والألفة جمع الدين والعمل به كله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، كما أمر به باطناً وظاهراً، وسبب الفرقة ترك حظ مما أمر العبد به والبغي بينهم.

ونتيجة الجماعة: رحمة الله ورضوانه وصلواته وسعادة الدنيا والآخرة وبياض الوجوه.

ونتيجة الفرقة: عذاب الله ولعنته وسواد الوجوه وبراءة الرسول من اهلها " [١] [١٠].

فالحرص على الاجتماع والائتلاف والموالاة العامة لكل المسلمين على أساس التقوى سبب من اسباب تنزل رحمة الله، كما أن نتيجة هذه الرحمة من الله أن تأتلف القلوب وتجتمع بعد الفرقة [٦].

وقد كانت وحدة الأمة ورفع الفرقة هي النعمة الأولى التي امتن بها الله عز وجل على المؤمنين، فقال عز وجل: +**وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**_، وكانت هي النعمة التي امتن رسول الله > على الأنصار، حين قال لهم: (ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فجمعكم الله بي) [٩].

ولذلك فالراجون رحمة الله يحافظون على الجماعة وينبذون الفرقة ويطلبون رحمة الله وبذلك، فشعارهم " الوحدة والائتلاف ونبذ الفرقة والاختلاف مع كل فصائل أهل السنة والجماعة التي تعمل في الساحة الإسلامية ".

---

١) ابن تيمية / الفتاوي: ١ – ١٧.

والراجون رحمة الله: يوالون إخوانهم العاملين للإسلام ولاءً عاماً، فلا يحكمون على فرد من أفراد الحركة الإسلامية بمجرد انتمائه إلى فصيل من فصائلها أو التعاون معه، ولا يحكمون على فصيل من فصائل الحركة الإسلامية من خلال تحرك فرد من أفراده، بل يوالون المؤمن من اي فصيل كان ويتعاونون مع فصائل أهل السنة وإن كان بعض أفرادها على غيرها، وصفتهم التي تميزهم +أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ_.

والراجون رحمة الله: يجعلون الحب في الله والأخوة فيه عز وجل بديلاً للجماعة الواحدة التي يأملون أن تكون في يوم من الأيام هي " الأمة " المتآخية المتحابة، كما أمر رسول الله > في قوله: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) [٨].

وهم يشعرون في إخوانهم أنهم " جمال الدنيا والآخرة "، ويعلمون أن " العلم بين أهل الفضل والعقل رحم متصل " كما يقول الشافعي [٣]، ولذلك – فالراجون رحمة الله – يقبلون الآن أن تكون فصائل العمل الإسلامي مدارس حركية يختار الفرد منا ما يشاء دون أن يؤدي ذلك إلى معاداته المدرسة الأخرى [٣]، ما دامت تلك المدرسة تسترشد بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة، وتشكل رافداً يصب في نهر أهل السنة الكبير.

والراجون رحمة الله: لا يدعون أحداً إلى التخلي عن شيخه الذي علمه أو جماعته التي يتعاون معها، وإنما يريدون من كل عامل للإسلام أن يدرك أن شيخه وجماعته وسيلة لغاية هي الإسلام، ولذلك فلا بد أن يكون ارتباطه بشيخه أو جماعته بقدر هذه كون هذه الجماعة أو ذلك الشيخ وسيلة إلى هذه الغاية على خير وجه [٧].

والراجون رحمة الله: يعرفون لقادة الحركة الإسلامية وأئمتها مقاديرهم ومراتبهم، ولكنهم مع ذلك لا يعطونهم العصمة التي لا تكون إلا لرسول الله > فهم يقدرونهم ولا يقدسونهم، وهم لا يؤثمونهم ولا يعصمونهم.

بل كما يقول ابن القيم: (لا بد من معرفة فضل أئمة الإسلام ومقاديرهم ومراتبهم، وأن فضلهم وعلمهم ونصحهم لله ورسوله لا يوجب قبول كل ما قالوه، وما وقع في فتاويهم من المسائل التي خفى عليهم ما جاء به الرسول، فقالوا بمبلغ علمهم والحق بخلافها، لا يوجب إطراح أقوالهم جملة وتنقيصهم والوقيعة فيهم، فهذان طرفان جائران عن القصد، وقصد السبيل بينهما؛ ألا نؤثم ولا نعصم، ولا نسلك بهم مسلك الرافضة في علي، ولا مسلكهم في الشيخين، بل نسلك نسلك مسلكهم أنفسهم فيمن قبلهم من الصحابة، فإنهم لا يؤثمونهم ولا يعصمونهم ولا يقبلون كل أقوالهم ولا يهدرونها) [٢].

فالراجون رحمة الله: يعلمون قدر كل رجل من رجال الحركة الإسلامية، فمهما كان عظيما لا يتعدون به حد الرجل، وإذا أخطأ لا يقللون من قيمته وقدره، فلا

---

٢) أعلام الموقعين : ٣/٢٨٣.

يعصمونه عن الخطأ، ولكن يبقون على مكانته وقدره وإن أخطأ، وذلك لأن من له علم بالشرع والواقع يعلم قطعا – كما يقول ابن القيم – أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وآثار، وهو من الإسلام وأهله بمكان، قد تكون منه الهفوة والزلة، هو فيها معذور بل مأجور لاجتهاده وإمامته ومنزلته من قلوب المسلمين)[٣] [١١].

والراجون رحمة الله: (لا ينتصرون انتصاراً عاماً مطلقاً إلا لرسول الله > وصحابته ﷺ ويعلمون أن الحق والهدى يدور مع أصحابه دون اصحاب غيره حيث داروا) كما يقول ابن تيمية [٤].

والراجون رحمة الله: يعلمون "فقه" التعامل مع الداخل الإسلامي، ويعرفون القواعد المشتركة والحدود الفاصلة في الحركة الإسلامية، وأين تلتقي الفصائل الإسلامية وكيف تتعاون، ولذلك فهم في هذا الإطار يحاولون إيجاد صيغة للالتقاء والانسجام الحركي بين كل فصائل العمل الإسلامي، بحيث يسير الجميع وفق منهج أهل السنة والجماعة وتكون لهم الأهداف الواضحة الثابتة التي لا تقبل التراجع ولا المساومة، والبرامج الوضحة التي يتكامل فيها المسلمون فيما بينهم وينفتحون على بعضهم ويتعاونون على البر والتقوى ويكون هدفهم عزة الإسلام وسيادته على أرجاء الأرض.

كلمة لا بد منها:

إن الحق لا يختلف عليه أحد طالما اتصف بالعدل والعلم وحسن القصد، وهي خصال موجودة بحمد الله تعالى في أكثر العاملين للإسلام.

والحق ليس حكراً على أحد طالما الكل ملتزم بإطار أهل السنة والجماعة من رد الأمر عند التنازع إلى الكتاب والسنة وفقه السلف الصالح ومن اتبعهم بإحسان من الأئمة الأعلام، وكل من رأى في أخيه خطأ فعليه أن يرشده وينصحه، ولذلك فإن لنا كلمة نريد بها النصح ولا نبغي بها إحراجاً ونريد بها البناء وليس الهدم.

نقول لقادة العمل الإسلامي: إننا نعلم أن أكثركم يتحركون بروح السنة والجماعة ويحرصون على الأئتلاف، ولا يقبلون أن يكونوا سببا للفرقة، ولكن بعض الناس الذين تربوهم يخوضون في إخوانهم ويتعصبون لكم تعصباً يجاوز حد العدل والإنصاف، فيشوهون صورتكم عند غيركم من فصائل الحركة العمل الإسلامي.

ولذلك فنحن نسأل الله عز وجل أن يوفقكم إلى تهذيب هذا الأمر في نفوس من تُربون، بتحذيرهم من الاختلاف والفرقة وتربيتهم على أن يكونوا دعاة وحدة وائتلاف.

ونقول لافراد الحركة الإسلامية: غن الكثيرين منكم يحبون الوحدة ويبغضون الفرقة، ولكنهم وقعوا في ايدي قادة متعصبين، فلكم إخواننا منا كل حب

---

٣) أعلام الموقعين ٢٨٣/٣.

وتقدير واحترام، ولكنا نطالبكم أنتم – قاعدة الدعوة – أن تحاسبوا هذه القيادات المتعصبة وأن تسألوهم ؛ ماذا فعلوا من أجل ائتلاف المسلمين ووحدتهم؟!

ونقول لكل المسلمين: إن أعداءكم يخافون ويفزعون حين يعلمون أنكم تفكرون في توحيد صفوفكم وجمع كلمتكم، لأنهم يعلمون أن هذا هو طريقكم الأقرب إلى النصر عليهم والتمكين لدين الله في كل الأرض.

دعوها فإنها منتنة:

إلى كل من ينفصل بطريق دون إخوانه في الحركة الإسلامية، ويعتقد أن مجموعته هي الوحيدة صاحبة الحق في التواجد على الساحة الإسلامية، وهي الوحيدة صاحبة الفهم الصحيح للإسلام: هذه دعوة للتأمل في قوله الله عز وجل: **+وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ_**، وكيف قدم الله عز وجل إرادة التفرق على الاختلاف!!

بمعنى آخر.. هل بعضنا تثور من بواطنه إرادة أن يفارق إخوانه ليكون فصيلاً جديداً من فصائل الحركة الإسلامية، ثم يبحث عن المبررات التي تبيح له هذه الفرقة، فيبحث عن فكرة أو هفوة وقع فيها إخوانه، فيكبر الفكرة حتى تصبح مخالفة للإطار الفكري لأهل السنة والجماعة! وخروجاً إلى البدعة والضلالة! ويكبر الهفوة حتى تصير خرقاً في الإسلام؟!

فقط نثبت هذا السؤال وليبحث كل منا في حنايا نفسه وصدق شعوره عن الجواب الصحيح [٩]!

وأخيرا:

أذكر فصائل العمل الإسلامي المتصارعة المتنافرة المتناحرة بما حدث حين كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للانصار! وقال المهاجري: يا للمهاجرين! فسمع بذلك رسول الله > فقال: (ما بال دعوى الجاهلية)، قالوا: يار سول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال > : (دعوها فإنها منتنة)[٤].

واقول: إن التعصب لجماعة والولاء لها ورفض بقية الجماعات التي تنتمي لأهل السنة والجماعة ومعاداتها ؛ هي في حقيقتها دعوى جاهلية، يقال لأهلها كما قال النبي > للمهاجرين والأنصار: (دعوها فإنها منتنة) [٤].

---

٤) صحيح البخاري.

مراجع

١) تفسير ابن كثير
٢) صحيح مسلم.
٣) هكذا ظهر جيل صلاح الدين/ ماجد عرسان الكيلاني
٤) حكم الانتماء إلى الجماعات والأحزاب/ بكر بم عبد الله ابو زيد
٥) الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو/ محمد سرور
٦) أهل السنة والجماعة: معالم الانطلاقة الكبرى/ محمد عبد الهادي المصري
٧) باطن الأثم/ محمد سعيد رمضان البوطي
٨) جند الله تخطيطا/ سعيد حوى
٩) فقه الخلاف/ جمال سلطان
١٠) الفتاوي/ ابن تيمية
١١) اعلام الموقعين/ ابن القيم الجوزية
١٢) بين الرشاد والتيه/ مالك بن نبي
١٣) مشكلة الثقافة/ مالك بن نبي

هذه دعوتنا

- دعوة الى الهجرة إلى الله بتجريد التوحيد، والبراءة من الشرك والتنديد، والهجرة إلى رسوله صلى الله عليه وسلم بتجريد المتابعة له.

- دعوة إلى إظهار التوحيد، بإعلان أوثق عرى الإيمان، والصدع بملة الخليلين محمّد وإبراهيم عليهما السلام، وإظهار موالاة التوحيد وأهله، وإبداء البراءة من الشرك وأهله.

- دعوة إلى تحقيق التوحيد بجهاد الطواغيت كل الطواغيت باللسان والسنان، لإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور المناهج والقوانين والأديان إلى عدل ونور الإسلام.

- دعوة إلى طلب العلم الشرعي من معينه الصافي، وكسر صنميّة علماء الحكومات، بنبذ تقليد الأحبار والرهبان الذين أفسدوا الدين، ولبّسوا على المسلمين...

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

- دعوة إلى البصيرة في الواقع، وإلى استبانة سبيل المجرمين، كل المجرمين على اختلاف مللهم ونحلهم ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

- دعوة إلى الإعداد الجاد على كافة الأصعدة للجهاد في سبيل الله، والسعي في قتال الطواغيت وأنصارهم واليهود وأحلافهم لتحرير المسلمين وديارهم من قيد أسرهم واحتلالهم.

- ودعوة إلى اللحاق بركب الطائفة الظاهرة القائمة بدين الله، الذين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله.

منبر التوحيد والجهاد
www.alsunnah.info
www.tawhed.ws
www.almaqdese.com